مات بسببه كثير من صحابة الرسول ومن المسلمين

طاعون الجارف.. وباء قتل 210 آلاف شخص فى 3 ليالى

إعداد: رياض عواد

شهر رمضان المبارك هو شهر الفتوحات والأحداث الجسام في تاريخنا الإسلامي.. وهذه الحلقات نحاول خلالها إبراز أهم الأحداث التي وقعت في هذا الشهر الكريم تلك الأحداث كثيرة ومتنوعة، ما بين معارك إسلامية فاصلة وفتوحات وأحداث إسلامية مهمة تتعلق بمولد أو وفاة أعلام المسلمين، فنعيش خلال الحلقات القادمة مع بعض تلك الأحداث والفتوحات لنقتفي آثارها ونتلمس خطاها.

- «طاعون عمواس» سمى على اسم بلدة صغيرة فى ضواحى القدس
- أبو الأسود الدؤلى أشهر من مات بهذا الطاعون
- مات بسبب طاعون الجارف عشرون ألف عروس
- عمرو بن العاص واجه الوباء القاتل فى الشام بإجراءات شبيهة بالحجر الصحى

من الأوبئة الشديدة التى التى واجهت المسلمين فى فترة الخلافة الراشدة، كان وباء "طاعون عمواس" الذى سمى على اسم بلدة صغيرة فى ضواحى القدس، وهو يعد امتدادا لطاعون جستنيان وهو وباء وقع في بلاد الشام في أيام خلافة عمر بن الخطاب سنة 18 هـ (640 م) بعد فتح بيت المقدس، ومات فيه كثير من المسلمين ومن صحابة النبي محمد.

ومع تفشى فيروس كورونا: كوفيد 19 فى العديد من دول العالم، والإجراءات الاحترازية التى اتخذتها الحكومات ، نسلط الضوء على أهم الأوبئة التى ضربت بلاد المسلمين والعرب وكيف تم التعامل معاها.

قتل مرض طاعون عمواس المدمر الآلاف من المسلمين، ورجح المؤرخون أن الوباء حصد أرواح 25 ألف من أهل الشام، بينما يرى آخرون أن عدد الضحايا وصل إلى أكثر من 30 ألف من بينهم العديد من صحابة النبى محمد "صلى الله عليه وسلم».

ولقد وقعت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حادثة طاعون عمواس، وهو وباء وقع في الشام سنة 18 هجرية بعد فتح بيت المقدس، و ذلك لأن الطاعون نشأ بها أو لا ثم انتشر في بلاد الشام فنسب إليها.

قال الطبري: واختلف في خبر طاعون عمواس وفي أي سنة كان، فقال ابن إسحاق ما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عنه، قال: ثم دخلت سنة ثماني عشرة؛ ففيها كان طاعون عمواس، فتفانى فيها الناس، فتوفي أبو عبيدة بن الجراح؛ وهو أمير الناس، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث ابن هشام، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل، وأشراف الناس. وحدثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثنا عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كان طاعون عمواس والجابية في سنة ثماني عشرة.

ويكشف مؤرخون أن الفاروق عمر بن الخطاب، تعامل مع ذلك البلاء كان في منتهى الحذر، حيث لم يدخل هو ومن معه إلى الشام، كما حاول إخراج المعافين من أرض الوباء، فضلاً عن قيامه بتحمل المسؤولية كاملة بعد انجلاء هذا الوباء، فرحل إلى الشام وأشرف على حل المشكلات وتصريف تبعات هذه الأزمة.

وحسبما جاء فى موقع الفتاوى الإسلامية "إسلام أون لاين" تعامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع هذا البلاء في منتهى الحذر حيث لم يدخل هو ومن معه إلى الشام، كما حاول إخراج المعافين من أرض الوباء، كما قام بتحمل المسؤولية كاملة بعد انجلاء هذا الوباء فرحل إلى الشام وأشرف على حل المشكلات وتصريف تبعات هذه الأزمة.

في حين رفض الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح الخروج من الشام، وقد كان واليًا عليها، عملاً بما جاء في حديث الرسول بعدم الخروج من أرض الطاعون، واعتقادًا أن في ذلك فرارا من قدر الله، وقال حينها مقولته الشهير: "إني في جند المسلمين، ولا أجد بنفسي رغبة عنهم».

وشهد الإجراءات التى قام بها الخليفة والوالى عمرو بن العاص لمواجهة الوباء القاتل فى الشام، إجراءات شبيهة بالحجر الصحى، حيث أخذ بن العاص بنصيحة عمر بن الخطاب بالخروج بالناس إلى الجبال؛ لأن الطاعون لا ينتشر هناك؛ فخطب فيهم قائلاً: "أيها الناس، إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار، فتحصنوا منه في الجبال"، وبتلك الطريقة استطاعوا القضاء على الوباء الذي شكّل خطورة كبيرة على دولة الإسلام في تلك الفترة؛ وذلك أخذًا بأسباب الوقاية منه، والقضاء عليه.

كان الطاعون هو الوباء الأشد بلاء على العالم على مدار التاريخ، وحصد وحده ملايين البشر، وتسبب هذا الفيروس اللعين في دمار للبشرية على مدى قرون طويلة، ولعله هو أسوأ الأوبئة التي واجهتها البشرية على مدى تاريخها.

ومع تفشى فيروس كورونا: كوفيد 19، في عدد كبير من دول العالم، ووصول عدد المصابين بالفيروس إلى مليون شخص ونحو 50 ألف حالة وفاة، أصيب البعض بحالة من الهلع، وأصبح الظن لديهم أن البشرية تشهد الفناء أو نهاية العالم، لكن أوبئة أخرى على مدار التاريخ كانت أشد وطأة على الإنسانية، وفى تاريخ الممالك الإسلامية كان هناك عدد من الأوبئة التي حصدت الكثير من البشر، ومن بين هذه الأوبئة ما يعرف بـطاعون الجارف.

ووفقا لدراسة بعنوان "وباء الطاعون فى الإسلام وإصابة المشهورين به حتى نهاية العصر الأموي" نشرت بمجلة كربلاء العالمية (المجلد الثامن– العدد الأول عام 2010)، سمى بذلك لكثرة من مات فيه من الناس، وسمى الموت جارفا لاجترافه الناس، ووقع هذا الطاعون في أيام عبدالله بن الزبير سنة 67هـ، وفي رواية أخرى سنة 69هـ، وكان شديدا إذ مات في ثلاث أيام كل يوم سبعون ألف، من بينهم ثمانون ابنا لأنس بن مالك، وكذلك مات لعبد الرحمن بن أبى بكرة أربعون ولدا.

ومن أشهر من مات بهذا الطاعون كان النحو العربى الشهير أبو الأسود الدؤلى، الذى مات سنة 69 هـ، وقبيصة بن حريص الأنصاري، والذى مات سنة 67 هـ.

وعن هذا الطاعون يقول ابن الجوزي: وفي هذه السنة وقع الطاعون الجارف بالبصرة فماتت أم ابن معمر الأمير، فما وجدوا من يحملها حتى استأجروا لها أربعة أنفس، وكان وقوع هذا الطاعون أربعة أيام، فمات في اليوم الأول سبعون ألفًا وفي اليوم الثاني واحد وسبعون ألفًا وفي اليوم الثالث ثلاثة وسبعون ألفًا وأصبح الناس في اليوم الرابع موتى إلا قليلاً من الآحاد».

ووصف "ابن الجوزى" الطاعون ومع ذلك يذكر أنه حج في هذه السنة عبد الله بن الزبير، كما وقوع الطاعون بمصر ومجاعة كذلك فقد نقل الحافظ ابن كثير عن الواقدي "وفي هذه السنة وقع في مصر طاعون هلك فيه خلق كثير من أهلها».

ثم ارتد الطاعون بعد ذلك إلى البصرة فجاءت الروايات أنه في سنة 68هـ "طاعون جارف بالبصرة امتد إلى سنة 80هـ" حيث يقول الذهبي في تاريخه العبر: أنه كان ثلاثة أيام فمات في كل يوم نحو من سبعين ألفًا، وقيل مات في طاعون الجارف عشرون ألف عروس وأصبح الناس في اليوم الرابع ولم يبق إلا اليسير من الناس».

كما أشار ياقوت الحموي أيضا في كتابه معجم البلدان أنه كان قد وقع طاعون بمصر عام 70هـ وكان واليها عبد العزيز بن مروان فخرج هاربًا من مصر، فلما وصل حلوان استحسن موضعها، فبنى بها دارًا واستوطنها وزرع بها بساتين وغرس كرومًا ونخلاً.